سلسلة حديث الأنبياء (٩)

النبي الصابر أيوب

عليه السلام

اسم الكتاب: النبي الصابر أيّوب عليه السلام.

اسم المؤلف: إبراهيم أحمد قشطة.

الطبعة الثانية: ١٤٤٤هـ – ٢٠٢٢م.

النبي الصابر
أيّوب
عليه السلام

أ/ إبراهيم أحمد قشطة

رفح – فلسطين
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الطبعة الثانية

طبعة مزيدة ومنقحة

الإهداء

إلى والدي – قدّس اللهُ روحَه – الذي علمني أنَّ الرجال يصنعهم العرق.

إلى والدتي – رزقها اللهُ حسنَ الخاتمة – التي علمتني أنَّ الكلمة الطيبة شجرة وارفة يستظلّ تحتها الناس من قيظ الحياة.

إلى شيوخي وأساتذتي الذين علموني أنَّ الإسلام دين عظيم لو أن له رجال.

إلى زوجتي التي علمتني أنَّ مَنْ لا يحبّ صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر.

إلى أُختيّ اللتين تعلمت منهما أنَّ الأخوة مشاعر جميلة حميدة.

إلى أبنائي أحمد وتسنيم ولمى ومحمّد الذين علموني أنَّ الأبوة أحلى المعاني.

المحتويات

المقدّمة

إنَّ الحمد الله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمّدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١)

أمّا بعد:

فإنَّ أصدق الحَديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، أعاذنا الله من البدع والضلالات والنيران.

وبعد:

هذا الكتاب التاسع من سلسلة (حديث الأنبياء)، والموسوم باسم (النبي الصابر أيّوب عليه السلام)، ويروي هذا الكتاب خبر النبي الصابر أيّوب – عليه السلام – الذي أبتلي بالخير فشكر، ولمّا ابتلي بالشرّ صبر، حتى صار مضربًا للمثل: صبرًا كصبر أيّوب!

وقد اجتهدتُ في هذا الكتاب أنْ أوضح سيرة هذا النبي الصابر، وذلك من خلال فصلين:

حيث جاء الفصل الأوّل (قصّة أيّوب عليه السلام) يتحدث عن نسب أيّوب وابتلائه في ماله وأهله وبدنه، كما وعدّد الفصل النعمَ التي أعطاها الله لنبيّه أيّوب جزاء لصبره واحتسابه، ثم ناقش الفصل قضية يمينه، وخُتم الفصل بالتحذير من الإسرائيليّات التي شوهت قصته الجميلة الحميدة.

أمّا الفصل الثاني (الفوائد المستفادة من قصّة أيّوب عليه السلام) تناول أهمّ الفوائد المستطابة من قصّته، فصلى الله عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

الفصل الأوّل

قصّة أيّوب – عليه السلام –

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ (ص: ٤١)

قصّة أيّوب – عليه السلام –

○ تمْهيد:

أيّوب نبي من أنبياء بني إسرائيل الأخيار، ومن أصفياء الله المختارين الأطهار، وقد ذكره الله ذكرًا حسنًا جميلًا في كتابه الكريم طيب الذكر والأخبار، مثنيًا عليه بالخصال الحميدة عمومًا، وبالصبر على البلاء خصوصًا، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ (ص: ٤٤)

قال الصابوني: " قد ذكر اسم أيّوب في القرآن أربع مرّات، في سورة النساء، والأنعام، والأنبياء، وفي سورة ص ذكره الله في عداد مجموعة الرسل الذين يجب الإيمان بهم تفصيلًا." (محمّد الصابوني)

وإليك خبر هذا النبي الصابر!!

○ نسب أيّوب عليه السلام:

قال ابن إسحاق: " كان رجلًا من الروم، وهو أيّوب بن موص بن رازح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وقال غيره: هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وهذه أقوال مظنونة وغير محقّقة، والصحيح المتحقق ممّا سبق أن أيّوب من ذرّيّة إبراهيم – عليه السلام – لا محالة؛ لقوله تعالى في معرض الحديث عن إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ

﴿وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤﴾ (الأنعام: ٨٤)

○ ابتلاء أيّوب – عليه السلام – وصبره:

قصَّ علينا القرآن الكريم خبر ابتلاء أيّوب – عليه السلام – وذلك في موضعين:

الموضع الأوّل: قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ (الأنبياء: ٨٣) أي: اذكر يا محمّد عبدنا أيّوب حينما نادانا أنّي قد أصابني بلاء وشدّة، وأنت أرحم من يرحم، وألطف من يلطف، فارحمني بكشف الضرّ عني.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾[1] (ص: ٤١) أي: " اذكر يا محمّد عبدنا الصالح أيّوب – عليه السلام – الذي ابتلي بأنواع البلاء فصبر، حين نادى ربه متضرّعًا إليه قال: إنّي مسّني الشيطان بتعب شديد في بدني." (محمّد الصابوني)

---

(١) النُّصب: تثقيل نَصب، وهو بمعنى التعب والمشقة والعذاب والألم، وأمّا (عذاب) أي: الآلام الشديدة.

وتأمّل– يا رعاك الله –: أضاف الله تعالى أيّوب إليه في قوله تعالى: (عبدنا)، وفي هذا تشريف كبير لأيّوب!!

فأنعم بهذه الإضافة!!

فما كان هذا الابتلاء الذي مسَّه عليه السلام؟

الجواب: الابتلاء الذي مسَّ أيّوب عليه السلام، ونادى ربَّه ليكشفه عنه، كان بلاءً عامًّا، وقد أصابه في بدنه وأهله وماله، والدليل على ذلك أنَّ كلمة (الضرّ) في قول أيّوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ (الأنبياء: ٨٣): هي كلمة للجنس، كما وجاءت معرفة بالألف واللام، ممّا يدل ذلك على عموم هذا البلاء، ولم يكن بلاء عامًّا وحسب بل كان شديدًا، حتى أنّه قيل: لم يصب من أحد من الخلق مثل أيّوب.

وقد فصّل الصابوني هذا الابتلاء بقوله: " فقد كان أيّوب – عليه السلام – من الأغنياء صاحب ثروةٍ ومالٍ وبنين، وكان يملك أرضًا واسعة وحقولًا وبساتين، وقد ابتلاه الله بالنعمة والرخاء فآتاه الغنى والصحة وكثرة الأهل والولد، فكان عبدًا تقيًّا ذاكرًا شاكرًا لنعم الله عليه، لم تفتنه الدنيا ولم تخدعه، ثم ابتلاه الله بسلب النعمة، ففقد المال والأهل والولد، ونشبت به الأمراض المضنية المضجرة، فصبر على البلاء وحمد الله وأثنى عليه، وما زال على حاله من التقوى والعبادة والرضى عن ربّه، فكان في حالتي البلاء والرخاء مثالًا لعباد الله الصالحين في إرضاء الرحمن، وإرغام أنف الشيطان."

(محمّد الصابوني)

لله درُّك يا أيّوب!! فقد ضربت القدح المعلّى في الصبر، حتى صرت المثل الحسن فيه، فقد قيل في المثال السائر: صبرًا كصبر أيّوب (أي: اصبروا كصبر أيّوب الجميل).

○ كشف البلوى عن أيّوب عليه السلام:

مكث أيّوب في بلائه الشديد ثماني عشرة سنة[1]، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إنَّ نبيَّ اللهِ أيّوبَ لبثَ به بلاؤُهُ ثمانيَ عشرةَ سنةً، فرفضَهُ القريبُ والبعيدُ إلّا رجلينِ من إخوانِهِ كانا يغدوانِ إليه، ويروحانِ، فقال أحدُهما لصاحبه: ذاتَ يومٍ: تعلمُ – واللهِ – لقد أذنبَ أيّوبُ ذنبًا ما أذنبَهُ أحدٌ من العالمينَ، فقال له صاحبُه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمانيَ عشرةَ سنةً لم يرحمْهُ اللهُ فيكشفَ ما به؟**

فلمّا راحا إلى أيّوبَ لم يصبرِ الرجلُ حتّى ذكرَ ذلك له، فقال أيّوبُ: لا أدري ما تقولان غير أنَّ اللهَ تعالى يعلمُ أنّي كنتُ أمُرُّ بالرجلينِ يتنازعانِ (أي: يختصمان) **فيذكران اللهَ فأرجعُ إلى بيتي فَأُكَفِّرُ عنهما كراهيةَ أنْ يذكرَ اللهَ إلّا في حقٍّ.**"

(رواه البيهقي: (٤٢٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة: (١٧))

ولمّا تطاول البلاءُ عليه، حتى رفضه القريب قبل البعيد، عندئذ ناجى أيّوب أرحم الراحمين: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣) أي: شملني البلاء والكرب والشدّة وأنت – يا ألله – أرحم الراحمين.

---

(١) ذُكرت أقولٌ أخرى في مقدار مدّة بلائه، فقد ذكر وهب بن منبه: أنّها كانت ثلاث سنين، وقال أنس: سبع سنين وأشهرًا. والصواب ما أثبتناه للحديث الصحيح المذكور.

تأمّل: أيوب – عليه السلام – لم يزد في تضرّعه عن وصف حاله ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ووصف خالقه تعالى بأعظم صفات الرحمة ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ودون أنْ يطلب منه شيئًا!! وهذا من أدب أيوب العالي الرفيع الذي سلكه مع ربّ العالمين!

وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١) أي: يا الله، قد أصابني من الشيطان التعب والألم الشديد.

خرجت هذه الاستغاثةُ من قلبٍ مكروبٍ مهمومٍ، خرجت من قلب صابر محتسب، فأنّى لا يستجيب لها أرحم الراحمين ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ (النمل: ٦٢) " فهل يجيب المضطرّ الذي أقلقته الكروب، وتعسرّ عليه المطلوب ....، إلّا الله وحده؟" (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

وبالفعل سرعان ما جاءت الإجابة الإلهيّة: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ (الأنبياء: ٨٤)!

وتأمّل – يا رعاك الله –: السين والتاء في (فاستجبنا) ستلحظ فيها المبالغة في الإجابة وسرعتها؟!

وفعلًا جاءت الإجابة الإلهية السريعة: ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾ (الأنبياء: ٨٤)!

وكيف كشف الله تعالى ضرّ أيّوب؟

لمّا قدّر الله تعالى أسبابًا في هذا الكون لكل شيء، أمر تعالى أيّوب أن: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾[1] (ص: ٤٢) أي: قلنا له اضرب الأرض برجلك، فلمّا ضربها نبعت له عين ماء صافية، فأمره الله تعالى بالاغتسال والشرب منها، قال تعالى: ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾[2] (ص: ٤٢) أي: اغتسل من هذا الماء يُشفَ ظاهرك، واشرب منه يُشفَ باطنك.

قال أبو حيان: " والجمهور على أنّه نبعت له عينان، شرب من إحداهما، واغتسل من الأخرى فشفي." (محمّد الصابوني)

قال أبو شبهة: " ظاهر القرآن عدم التعدد في الضرب، ولا في نبع الماء." (محمّد أبو شبهة: ١٤٠٨)

على كل حال: أيّوب الصابر المحتسب المطيع ما كان منه إلّا أنْ ينفذ أمر ربّه، ثقة بالله وتوكلًا عليه أوّلًا، وأخذًا بالأسباب ثانيًا، فما أنْ ضرب أيّوب الأرض حتى نبعت له عين ماء له، فاغتسل منها

---

(١) الركض هو: الدفع والتحريك للشيء بالرِّجل، يقال: ركض فلان الدابّة برجله إذا دفعها وحرّكها، وذِكْر الرّجل في قوله: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾ بالرغم من أنّ الركض لا يكون إلّا بالرِّجل زيادة في معاني الفعل كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ (الأنعام: ٣٨)

(٢) المغتسل: اسم للمكان الذي يغتسل فيه، والمراد به هنا: الماء الذي يغتسل فيه.

وشرب، فأكرمه المنّان بأن أذهب عنه ما به من بلاء في جسده، وشفي شفاء تامًّا كاملًا، ولله الحمد والمنّة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **وكانَ يخرُجُ إلى حاجتِهِ** (أي: لقضاء حاجة الإنسان من البول والغائط)، **فإذا قَضى حاجَتَهُ أمسكتْهُ امرأتُه بيدِه حتّى يبلغَ، فلمّا كان ذاتَ يومٍ أبطأَ عليها** (أي: تأخّر في الخروج من مكان قضاء الحاجة)، **وأُوحي إلى أيّوبَ أنْ ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ (ص: ٤٢)، فاستبطأتْهُ فتلقّتْهُ تنظُرُ، وأقبلَ عليها، قد أذهبَ اللهُ ما به من البلاءِ، وهو أحسنُ ما كان، فلمّا رأته قالت: أيْ باركَ اللهُ فيك، هل رأيتَ نبيَّ اللهِ هذا المُبتلى؟ واللهِ على ذلك ما رأيتُ أشبهَ منك إذ كان صحيحًا، قال: فإنّي أنا هو.**" (رواه البيهقي: (٤٢٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة: (١٧))

ونختم هذه النقطة بهذه الوقفة الطبية، قال تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ **(ص: ٤٢):**

ففي كلمات هذه الآية الكريمة معانٍ طبية عزيزة، قد اهتدى إليها الطبُّ الحديث بعد آلاف السنين، حيث طلبت الآية من أيّوب أنْ يغتسل بالماء الذي أنبعه الله تعالى له، والطبّ الحديث يستخدم الاغتسال وهو (الغطس) في المياه المعدنية في معالجة بعض الأمراض، ثم طلبت الآية من أيّوب - أيضًا - أنْ يشرب من الماء، والطبُّ الحديث يستخدم بكثرة إعطاء الأدوية والعقاقير عن طريق الشرب بالفم، وأخيرًا كان الماء الذي اغتسل فيه أيّوب ماءً باردًا، والطبّ الحديث يستخدم التبريد في علاج كثير من الأمراض، بعد ذلك لا نملك إلّا أنْ نقول: سبحان الله العلي العظيم!!

⭘ نعم الله على أيّوب عليه السلام:

أنعم الله على عبده أيّوب بنعم عظيمة كثيرة، وقد كان شفاء أيّوب أوّل هذه النعم، وثانيها كانت أنْ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ (ص: ٤٣)

يا ألله!! منح الله أيّوب أضعاف ما فقد من ولده!!

وكيف حدث ذلك؟!

اختلاف العلماء في ذلك على أقوال:

فقد ذُكر: أنّ الله تعالى أحيا من مات من أهله بأعيانهم.

قال أبو حيان: " الجمهور على أنّه تعالى أحيا له من مات من أهله، وعافى المرضى، وجمع عليه من شتت منهم."

(محمّد الصابوني)

وقال ابن مسعود: " مات أولادُه وهم سبعة من الذكور، وسبعة من الإناث، فلمّا عُوفي أُحيوا له، وولدت امرأته سبعة بنين وسبع بنات."

(محمّد الصابوني)

وهذا القول فيه نظر؛ لأنّه لن يرجع أحدٌ إلى الدنيا بعد انتقاله منها إلّا ما كان من معجزة المسيح عيسى عليه السلام.

وذهب آخرون إلى: أنّ أيّوب قد أصابه الضرُّ في بدنه فقط دون أهله وماله، وبذلك يكون قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ (ص: ٤٣) أي: أبقى الله له أهله، فلم يصب فيهم بما يكره، وزاده بنين وحفدة.

وهذا القول لا دليل شرعي صحيح عليه أيضًا.

وذُكر: أنّ أيّوب لم يفقد أهله أو ماله، ولكنه لمّا كان مريضًا كان كالذي فقد أهله وماله، حيث المريض لا يشعر بوجود أهله حوله، ولا يستمتع بماله، فصارت هذه النعم بالنسبة إليه كالمفقودة، فلمّا شفي وعادت الحياة الطبيعية له أحسّ بوجودهم، وكذلك استمتع بماله، فكأنّه منحها من جديد.

وهذا القول لا دليل شرعي صحيح عليه، ويخالف ظاهر القرآن والسنّة.

والصحيح المتعين: " إنَّ الله عوضّه من زوجته أولادًا مثل من فقدهم." (محمّد الصابوني)

قال الرازي: " الأقرب أنّ الله تعالى متعه بصحته وبماله، وقوّاه حتى كثر نسله، وصار أهله ضعف ما كان وأضعاف ذلك."

(محمّد الصابوني)

وثالث نعم الله على أيّوب: أنْ منحه الله الخير (المال) الكثير، فقد روى البخاري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **بينما أيّوبُ يغتسلُ عُريانًا خَرَّ عليه** (أي: سقط عليه) **رِجْلُ جَرادٍ** (أي: عدد كثير من الحشرة المعروفة) **من ذهبٍ، فجعلَ يَحثي في ثوبِهِ، فنادى ربُّهُ: يا أيّوبُ، ألم أكنْ أَغْنَيْتُكَ عمّا ترى؟ قال: بَلى يا ربِّ، ولكنْ لا غِنى بي عن بركتِكِ.**"[١] (رواه البخاري: ٧٤٩٣)

---

(١) قال العدوي: " في هذا الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حقّ من وثق من نفسه الشكر عليه، وفيه تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة. " (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢) =

وقال صلى الله عليه وسلم:

" **وكان له أَنْدرانِ** (أي: مخزنان لجمع الثمار): **أندرُ للقمحِ، وأندرُ للشعيرِ، فبعثَ اللهُ سحابتينِ، فلمّا كانت إحداهما على أندرِ القمحِ أفرغتْ فيه الذهبَ حتّى فاضَ، وأفرغتِ الأخرى على أندرِ الشعيرِ الوَرَقَ** (أي: الفضة) **حتّى فاضَ.**"[1] (رواه البيهقي: (٤٢٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة: (١٧))

هكذا أنعم الله تعالى على عبده أيّوب، وهكذا وقعت لأيّوب هذه النعم وغيرها، وقعت رحمة من الله لصبره ولإخلاصه، قال تعالى: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ (ص: ٤٣) أي: ما منحناه لأيّوب من نعم كان رحمة من الله البَرّ الرحيم.

وتأمّل – وفقك الله للحقّ –: قوله تعالى: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ (ص: ٤٣) فقد كُرر في ثلاث سور: يس، وفصلت وص. وكأني بهذه الآية

= **وهل يجوز الاغتسال عريانًا إذا كان المكان خاليًا؟**

قال العدوي: " فقد استدلّ بهذا الحديث قوم على جواز الاغتسال عريانًا إذا كان في مكان خالٍ، واستدلّوا أيضًا بقصّة اغتسال موسى – عليه السلام – عريانًا من وراء حجر، وعورض هذا الاستدلال بحديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنّه سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الاغتسال عريانًا (وذلك في مكان خال) فقال له عليه السلام: **الله أحقُّ أنْ يستحيَ منه من الناسِ.**" وإسناده حسن، وقال العدوي: وهذا محمول على الاستحباب والله تعالى أعلم." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

(١) **معنى الحديث:** أي امتلأ المكانان بالذهب والفضة تعويضًا لأيّوب ورحمة به.

ترشدك إلى أنّ الخير الذي يملأ حياتك ليس من قدرتك ومواهبك، إنّما هو من رحمة الله ولطفه بك!

هذا هو نبيٌّ الله أيّوب النبي الصابر المحتسب، هذا هو نبي الله أيّوب القدوة الحسنة للصابرين، وسلوة المبتلين، وعبرة للمعتبرين، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

⊙ قصّة يمين أيّوب عليه السلام:

مَرِضَ أيّوب مرضًا طويلًا، وأثناء مرضه أقسم أن يجلد زوجته مئة جلدة.

فما هذا الذي فعلته زوجة أيّوب حتى أقسم أيّوب بهذا اليمين؟

ذكر المفسرون أقوالًا كثيرة في ذلك، منها:

قيل: إنّ امرأته كان تخدمه، وضجرت من طول مدّة خدمته وهو مريضٌ، وذات مرّة قد تمثّل لها الشيطان بصورة طبيب، وجلس في طريقها، فقالت له: يا عبد الله، إنّ ههنا إنسان مبتلى، فهل لك أنْ تداويه؟ قال: نعم، إنْ شئت شفيته، على أنّ يقول إذا برأ: أنت شفيتني. فجاءت، فأخبرته، فقال: ذاك الشيطان، لله عليّ إنْ شفاني الله أنْ أجلدك مئة جلدة.

وهذا كذب وافتراء!!

وزعم بعضهم:

أنّ إبليس لقي زوجة أيّوب فقال لها: أنا الذي فعلت بأيّوب ما فعلت، وأنا إله الأرض، ولو سجد لي سجدة واحدة لرددت عليه أهله

وماله، فجاءت فأخبرت أيّوب، فأقسم أنْ يضربها مئة جلدة إنْ عافاه الله.

وهذا عين الكذب والاختلاق!!

وذكر: أنه أرسل امرأته في حاجة له فأبطات عليه، فأقسم أنّه إذا برئ من مرضه ليضربنّها مئة ضربة.

وهذا وإن كان أقل سوءًا ممّا قبله إلّا أنّه يعوزه الدليل الشرعي الصحيح.

فما السبب الصحيح لهذا اليمين؟

لا نشكُّ في أنّ أيّوب أقسم هذا اليمين، وغالبًا بسبب شيء أغضبه من زوجته، فما هذا الشيء؟ لم يرد شيء ثابت عن المعصوم – صلى الله عليه وسلم – يحدّد لنا ذلك الشيء، فمن أين لنا أنْ نعلمه؟!

فالصحيح: ردَّ علم ذلك إلى الله، ونقول: أقسم أيّوب أنْ يضرب زوجته مئة جلدة لأمر ما أغضبه منها لا يعلمه إلّا الله تعالى.

الحاصل: أقسم أيّوب بهذا اليمين، ونعمة رابعة أنعم الله بها على عبده أيّوب، أنْ خفف الله تعالى عنه وعنها، حيث قال تعالى: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ (ص: ٤٤)

فقد كانت اليمين في شريعتهم واجبة لا تحنث (أي: لا تترك ويُكفر عنها)، وإنما يجب تنفيذها، فخفّف الله عنه وعن زوجته بأنّ

رخّص له أنْ يأخذ حزمة من الضِّغْث[1] بها مئة عود، ويضرب بها ضربة واحدة، وبذلك يكون قد وفّى يمينه.

والسبب الذي خفّف الله به عن أيّوب وزوجته ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ (ص: ٤٤)

وانظر – يا رعاك الله –: الصابر يرشده ربُّه لكيفية الخلاص من يمينه، فكيف بما هو أشدُّ؟!

◎ الإسرائيليّات الكاذبة الواردة في قصّة أيّوب:

قصّة أيّوب من القَصص التي تزايد فيها اليهود تزايدًا عجيبًا، واستغلوها استغلالًا سيئًا مقصودًا، فأطلقوا فيها عنان خيالهم الخبيث، ووجدوا فيها ضالّتهم القبيحة، فزيّفوا فيها ما زيّفوا، وكذبوا فيها ما كذبوا، انتقاصًا لنبي الله أيّوب، فرموه بما عصم أنبياءه عنه، وصوّروه بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله.

ومن هذه الإسرائيليّات الكاذبة: ذكروا أنّ أيّوب – عليه السلام – أصيب بالجذام أو الجدري في جميع جسده، حتى أنه لم يسلم موضع إلّا وقد أُصيب عدا القلب واللسان، حتى أنّه تساقط لحمه، وظهر العصب والعظم، فبشع منظره، وعافاه الناس كلهم واستقذروه، وصار منبوذًا، بل ألقوه على مزبلة بلدتهم، تختلف الدواب على بدنه وتنهش منه.

---

(١) الضغث هو: قبضة من الحشيش اختلط فيها الرطب باليابس.

وقد هجره كل الناس سوى زوجته، فهي التي كانت تحنو عليه، وزعموا أنّها تعرضت لكثير من الأذى بسبب مرضه، حيث إنّها أنفقت عليه كل مالها، ولمّا فُنِيَ مالها ولم تجد ما تنفقه عليه، عملت كخادمة ذليلة في بيوت الناس لتوفّر نفقته، وحتى هذه المهنة المُهينة الذليلة لم تبق لها، فقد طردها الناس من بيوتهم خوفًا أنْ تعديهم؛ لأنّها كانت تختلف على أيّوب، فاضطرّت لبيع ضفائر شعرها لتنفق عليه!!

إلى غير ذلك من الكذب والتزوير والإفك، الذي لا يشكُّ أي منصف أنّه من دسّ زنادقة أهل الكتاب، الذين ما فتئوا يلصقون بأنبياء الله كل عيب وسوء، وليس صنيعهم هذا بعجيب، أليس هم الذين قالوا: يد الله مغلولة؟ غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا!

وليس العجيب أنْ يقول اليهود هذا الإفك، وإنما العجيب أنْ يرويه عنهم المفسرون – عفا الله عنهم – بدون الإشارة إلى كذبه!!

ما الصواب في قصّة مرضه؟

الظاهر من القرآن والسنّة الصحيحة أنّ أيّوب أُبتلي في جسده، ومرض مرضًا عضالًا، ولكن مرضه لم يصل لمثل هذه الخرافات والأكاذيب.[١]

(١) قال أبو شبهة: " إنّ ما أصيب به أيّوب من مرض، إنما كان من النوع غير المنفّر والمقزّز، وأنّه من الأمراض التي لا يظهر أثرها على البشرة، كالروماتيزم، وأمراض المفاصل والعظام ونحوها." (محمّد أبو شبهة: ١٤٠٨)

فالأنبياء يبعثون من أوساط أقوامهم (أي: خيارهم)، وبالطبع أيّوب كان من قبيلة شريفة عزيزة، فأين عشيرته الشريفة العزيزة لتأخذه وتطعمه؟ وهل يعقل أنْ يتركَه أقاربُه وهم أشراف القبيلة وأسيادها ملقى على المزبلة ثماني عشرة سنة؟! أيعقل هذا؟! أيعقل أنْ يتركوه حتى تنهش الدواب من لحمه؟! أيعقل هذا وهم الأشراف؟

أيعقل أن يتركوا زوجته تعاني ما عانت من أجل أيّوب لدرجة بيع الضفائر ؟!

أي عاقل منصف يرفض هذا الكذب، وقد يقال: أليس من الجائز أنهم تركوه عقابًا له؛ لأنّه كان على غير دينهم؟ وربما قد جرت بينهما مناظرات ومنافرات، وكانت الأقوام السابقة تتفن في إيقاع الأذى بأنبيائهم، ولمّا أيّوب وقع في هذا الأذى من دون جريرة منهم تركوه ليقاسي شأنه، وهو عدوُّ آلهتهم ومسفّه عقولهم وعقول آبائهم.

بلى، كانت الأمم السابقة الكافرة تلحق الأذى بأنبيائهم، وأيّوب ليس بدعًا من الرسل، لكن هناك فرق بين أذى قوم بتخطيطهم وتنفيذهم ردًّا على تسفيه عقولهم وإهانة آلهتهم، وبين أذى قاسٍ بهذا الشكل لا سيما وهو بدون تخطيط منهم، بالتأكيد سيعيرون إذا تركوه بهذا الحال!!

وإنْ فرضنا جدلًا أنهم فعلوا ذلك، وهذا مستبعدٌ جدًّا، فأين أبناؤه؟ وأين المؤمنون به؟!

من الواضح جدًّا أنّ العقل كما الشرع يرفضان ذلك جملة وتفصيلًا، وهذا من الإسرائيليّات المكذوبة بلا شكّ، وممّا يؤكد على

ذلك، أن الله عندما أراد أنْ يشفي أيّوب طلب منه أنْ يضرب الأرض بقدميه، فكيف لمريض بمثل هذه الصورة التي ذكروها أن ينهض من مكانه؟ فضلًا عن أنْ يضرب الأرض ثم يشرب ويغتسل؟!

o o o o

الفصل الثاني

الفوائد المستفادة من قصّة أيّوب
– عليه السلام –

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾

(يوسف: ١١١)

الفوائد المستفادة من قصّة أيّوب – عليه السلام –

تمهيد:

قصة أيّوب كغيرها – من قصص الأنبياء والمرسلين – ليست للتسلية أو السمر وإنما لأخذ العبر والعظات، وللاقتداء بهؤلاء الأطهار الأتقياء الأنقياء، والسير على دربهم، فاطلاعنا على سيرهم، وما تحملوه من أذى في سبيل الله تقوية لعزائمنا، وتصحيح لهممنا، وتسلية لنا عما يصيبنا من اللأواء.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف: ١١١)

الفوائد المستفادة من قصّة أيّوب – عليه السلام–:

١. هل يباح للرجل أنْ يضرب زوجته تأديبًا؟

بداية لم تعرف المرأة في تاريخ الإنسانيّة كرامة واحترامًا كما عرفتها في الإسلام، فقد كانت المرأة في جميع الحقب التاريخية متاعًا وسلعة، تعرض وتباع وتشترى، يستمتع بها ثم تلقى كأية سلعة أدت غرضها، فجاء الإسلام فأعطاها حقّها من الكرامة الإنسانيّة، وأحلّها مكانتها في المجتمع كصنو للرجل، وأعطاها حقوقًا كثيرة كأمّ وزوجة وأخت وبنت، لا يستطيع أي منصف أنْ يقلّل من شأنها.

وإنْ عدنا للسؤال **هل يباح للرجل ضرب زوجته تأديبًا؟**

نقول: الحياة الزوجيّة لا تخلو من أنْ يقع من بعض الزوجات نشوزًا (أي: ترفّع من المرأة وخروجها عن حقوق زوجها)، ومن كرامة الزوجة وحقّها على زوجها أنْ يعيدها إلى جادّة الطريق إنْ نكبت عنه بالكلمة الحسنة، والموعظة الرقيقة، والنصيحة المشفقة.

فإنْ لم يفلح ذلك معها استخدم الزوج عقابًا نفسيًّا وهو الهجران[1]؛ ليؤكد لزوجته أنّه رافضًا ذلك النشوز، والحقّ أحقّ أنْ يتّبع.

وأغلب الزوجات يَعُدْنَ إلى الصواب بعد إحدى هذين العلاجين، ويبقى صنف قليل من الزوجات لا يفلح معهن ما سبق، فيأتي آخر العلاج الكي، وهو الضرب، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ (الملك: ١٤)

قال الحفناوي: " ومشروعية ضرب النساء ليست بالأمر المستكره في العقل والفطرة، فقد أثبت التجارب أنّه في حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة قد لا يستغني عن إيقاع هذه العقوبة على من صفتها هكذا لا سيما إذا كانت ناشزًا لا يصلح حالها عادة إلّا بعد توقيع هذه العقوبة عليها، فلكل حال حكم يناسبها في الشرع."

(محمّد الحفناوي)

---

(١) يقصد بالهجران: " هو الهجر في المضجع، وهو نوع من أنواع التأديب لمن تحبّ زوجها، ويشقّ عليها هجره، والمراد به هنا هو: عدم جماعها، وليس المراد هجر حجرة النوم أو هجر الفراش؛ لأنَّ في ذلك زيادة في العقوبة لم يأذن الله بها، وربما يكون سببًا لزيادة الفجوة." (محمّد الحفناوي)

والضرب هنا ليس بقصد التشفي والانتقام، وإنما هو علاج، فيكون ضربًا في حدود العلاج، كما قال صلى الله عليه وسلم: " **واضربوهن ضربًا غير مبرح.**" (رواه ابن ماجه: ١٨٥١)

والجواز لا ينافي الكراهة، فقد ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنّه قال: " **لا تضربوا إماءَ اللهِ، فجاءَ عمرُ إلى رسولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فقالَ: ذَئِرْنَ** (أي: اجترأن ونشزن) **النساءُ على أزواجِهِنَّ، فرخَّصَ رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – في ضربِهِنَّ، فأطافَ بآلِ الرسولِ – صلى الله عليه وسلم – نساءٌ كثيرٌ يشكونَ أزواجَهُنَّ، فقالَ صلى الله عليه وسلم: لقد طافَ بآلِ محمّدٍ نساءٌ كثيرٌ يشكونَ أزواجَهُنَّ ليسَ أولئك بخيارِكُم.**"

(رواه أبو داود: (٢١٤٦)، وابن ماجه: (١٩٨٥))

وقال صلى الله عليه وسلم: " **لا يجلدُ أحدُكُم امرأتَهُ جلدَ العبدِ ثم يجامِعُها في آخِرِ اليومِ.**" (رواه البخاري: ٤٩٠٨)

قال محمّد رشيد رضا:

" وأذكر أنّي هديتُ إلى معنى هذا الحديث العالي قبل أنْ أطّلعَ على لفظه الشريف، فكنت كلما سمعت أن رجلًا ضرب امرأته، أقول: يا الله العجب! كيف يستطيع الإنسانُ أنْ يعيش عيشة الأزواج مع امرأة تضرب؟

تارة يسطو عليها بالضرب، فتكون منه كالشاة من الذئب، وتارة يُذل لها كالعبد طالبًا منتهى القرب!" (محمّد الحفناوي)

وقال الحفناوي: " وجملة القول: أنّ الضربَ علاجٌ مُرٌّ، قد يستغني عنه الخَيْرُ الحرُّ، كما قال – صلى الله عليه وسلم – في حقّ من يضرب زوجته " **ليس أولئك بخياركم.**" (رواه أبو داود: (٢١٤٦)، وابن ماجه: (١٩٨٥))، ولكنه لا يزول من البيوت بكل حال نظرًا لاختلاف طبائع الناس." (محمّد الحفناوي)

توضيح مهم:

ضرب الزوجة في الإسلام ضرب رحمة وشفقة، أمّا غير المسلمين الذين يتشدقون بأنهم أصحاب المَدَنيّة والحضارة، فهم أكثر المسيئين إلى النساء ضربًا وإهانة، وإليكم هذه الإحصائيّة التي تظهر مهانة المرأة في المجتمعات التي لا تدين بالإسلام:

– في دراسة أمريكيّة أجريت عام (١٩٨٧م) أشارت إلى أنّ (٧٩%) من الرجال يقومون بضرب النساء، وبخاصّة إذا كانوا متزوجين منهن.

– وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسيّة، جاء أن (١٧%) من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف هن ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء، وأنّ (٨٣%) دخلن المستشفيات سابقًا مرة على الأقل للعلاج من جروح وكدمات أصبن بها، وكان دخولهن بسبب الضرب.

وقد جاء في هذه الدراسة التي فحصت (١٣٠٦) سجلًا للنساء في المستشفيات أنّ في أمريكا كان أكثر الأسباب شيوعًا للإصابة بالجروح التي تصاب بها النساء هو بسبب ضرب الأزواج أو

الأصدقاء، وأنها تفوق ما يلحق بهن من أذى حوادث السيارات والسرقة والاغتصاب مجتمعة، وأكّدت الدراسة أنّ ضرب النساء هو إحدى حقائق المجتمع الأمريكي، ومشكلة اجتماعيّة واسعة الانتشار.

– وفي فرنسا تتعرض حوالي مليوني امرأة للضرب.

– ويفيد تقرير بريطاني أنّ الزوج يضرب زوجته دون أنْ يكون هناك سبب يبرر الضرب، ويشكل هذا نسبة (٧٧%) من عمليات الضرب. (محمّد الحفناوي)

٢. الأدب مع الله:

قال أيّوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١) فقد أسند أيّوبُ الضرَّ الذي أصابه في بدنه وأهله وماله إلى الشيطان، أدبًا مع الله، مع أنّ الفاعل الحقيقي هو اللهُ ربُّ العالمين، فالخير والشرُّ، والنفع والضر، بيد الله تعالى، ولكن الشرّ لا ينسب إلى الله، وإنما ينسب إلى النفس والشيطان، وقد راعى هذا الأدب إبراهيم – عليه السلام – حيث قال: ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠﴾ (الشعراء: ٧٩ – ٨٠) حيث نسب إبراهيم الإطعام إلى الله، ونسب المرض إلى نفسه أدبًا.

وقد رمق هذا الأدب الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (آل عمران: ٢٦) والتقدير: وبيدك الخير والشرّ؛ لأنَّ مقاليد الأمور كلها بيد الله تعالى،

وإنما آثر ذكر الخير دون الشرّ؛ لأنّه مطلوب العباد ومرغوبهم إليه؛ أو لأنّه أكثر وجودًا في العالم من الشرّ، وأخيرًا أدبًا مع الله تعالى حيث لا ينسب الشرّ إليه.

وفي تعبير أيّوب بالمسّ في قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ (الأنبياء: ٨٣) أدبٌ آخرُ من أيّوب مع الله، إذ جعل ما حلّ به من الضرّ كالمسّ الخفيف.

٣. هل كان قول أيوب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ (الأنبياء: ٨٣) جزعًا أو شكوى؟

قول أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ (الأنبياء: ٨٣) ليس فيها جزعًا أو شكوى أو تبرمًا، وإنما هي إخبار عن حاله، وإقراره بالعجز، فلم يكن منافيًا للصبر، وإنما هو من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء، فقول القائل لمن يعظمه ويرغب إليه: أنا جائع، أنا مريض، حسن أدب في السؤال.

قال القرطبي: " كان دعاء منه، والجزع في الشكوى إلى الخلق لا إلى الله تعالى، والدعاء لا ينافي الرضى، قال ثعلب: حضرت مجلسًا غاصًا بالفقهاء والأدباء في دار السلطان، فسئلتُ عن هذه الآية الكريمة بعد اجتماعهم على أن قول أيوب كان شكاية، وقد قال تعالى: (إنا وجدناه صابرًا)، فقلتُ: ليس فيها شكاية، وإنما كان دعاء بيانه (فاستجبنا له) والإجابة تتعقب الدعاء لا الاشتكاء."

(القرطبي: ٢٠٠٢)

وإن عددنا هذا القول شكوى من أيوب، فإن الشكوى إذا كانت لله تعالى لا تنافي الصبر، فقد قال يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (يوسف: ٨٦)

ولو كانت الشكوى إلى غير الله تنافي الصبر لما مدح الله أيوب، وقال: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ (ص: ٤٤)

٤. قطوف دانية من قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ (ص: ٤٣):

القطفة الأولى: ثق بأنّ عقب كل بلاء يعصف بك، هنالك هبةٌ إلهيّةٌ تنتظرك، وتليق بك! قال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ (ص: ٤٣)

القطفة الثانية:

أخذ الله من أيّوب ما يحبُّ!

فما كان من أيّوب إلاّ أنْ تعبد لله بما يحبّ!

فمنح الله أيّوب ما أحبّ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ (ص: ٤٣)!

فاطمئن فأنت تتعامل مع ربّ شكور!!

٥. هل النصب والألم اللذان أصابا أيّوب في بدنه كانا من الشيطان؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأوّل: النصب والألم اللذان أصابا أيّوب في بدنه إنما حصلا بفعل الشيطان.

القول الثاني: أنّ هذا النصب والألم قد حصلا بفعل الله تعالى، والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة وإلقاء الخواطر.

قال الشنقيطي: " وفي نسبة ما أصابه من المشقة والألم إلى الشيطان في سورة (ص) إشكالٌ معروفٌ؛ لأنّ الله ذكر في آيات من كتابه أنّ الشيطان ليس له سلطان على مثل أيّوب من الأنبياء الكرام، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ (النحل: ٩٩ – ١٠٠)

وللعلماء عن هذا الإشكال أجوبةٌ، منها ما ذكره الزمخشري حيث قال:

فإنْ قلت: لِمَ نسب إلى الشيطان؟ ولا يجوز أنْ يسلّطه على أنبيائه لإتعابهم وتعذيبهم، ولو قدّر على ذلك لم يدع صالحًا إلّا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرار في القرآن أنّه لا سلطان له إلّا الوسوسة فحسب؟

قلتُ: لمّا كانت وسوسته إليه، وطاعته له فيما وسوس سببًا فيما مسّه الله به من النصب والعذاب نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه، مع أنّه فاعله ولا يقدر عليه إلّا هو." (عدنان الكحلوت: ٢٠١١)

وقيل: " أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله تعالى في أنّ يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه وردّه بالصبر الجميل." (عدنان الكحلوت: ٢٠١١)

وقال الشنقيطي: " ويمكن أنْ يكون سلّطه الله على جسده وماله وأهله، ابتلاء ليظهر صبره الجميل، وتكون له العافية الحميدة في الدنيا والآخرة، ويرجع له كل ما أصيب فيه، والعلم عند الله، وهذا لا ينافي أنّ الشيطان لا سلطان له على مثل أيّوب؛ لأنّ التسليط على المال والأهل والجسد من جنس الأسباب التي ينشأ عنها الأعراض البشريّة كالمرض، وذلك يقع للأنبياء، فإنهم يصيبهم المرض، وموت الأهل، وهلاك المال لأسباب متنوعة، ولا مانع من أنْ يكون جملة تلك الأسباب تسليط الشيطان على ذلك للابتلاء."

(عدنان الكحلوت: ٢٠١١)

٥. لماذا أمر الله تعالى محمّدًا – صلى الله عليه وسلم – أن يذكر قصّة أيّوب للمؤمنين؟

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ (ص: ٤١)

فقد أمر الله تعالى نبيه محمدًا في هذه الآية أن يذكر قصة أيوب للمؤمنين، وذلك لعدة فوائد:

أ. إظهارًا لنعم الله على عباده عمومًا، وعلى أوليائه خصوصًا.

ب. لتكون عبرة للمؤمنين في الصبر على الابتلاء، وتحمل مشاق الحياة.

قال تعالى: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (ص: ٤٣) أي: وفي ما أجرى الله تعالى على أيوب من نعم ذكرى وتذكير لأصحاب العقول؛ ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج؛ لأنهم متى ذكروا بلاء أيوب – وهو أفضل زمانه – وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا ومصائبها، واللجوء إلى الله – عز وجل – فيما يحيق بهم، كما لجأ أيوب؛ ليفعل الله بهم ما فعل به من حسن العاقبة، وعظيم الإكرام.

وتأمّل – وفقك الله للحقّ –: جعل الله تعالى ما جرى لأيوب وصبره عليه " تذكيرًا للعابدين الذين وصفهم الله تعالى بأولي الألباب، الذين يعبدون الله وحده ويطيعونه، وأنهم هم المنتفعون بالذكرى والقصة." (عدنان الكحلوت: ٢٠١١)

٦. أيما أفضل: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟

قال الصابوني: " سئل سفيان عن عبدين: ابتلي أحدهما فصبر، وأنعم على الآخر فشكر، فقال: كلاهما سواء؛ لئن الله تعالى أثنى على عبدين: أحدهما صابر، والآخر شاكر ثناءً واحدًا، فقال في وصف أيوب: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٤)، وقال في وصف سليمان: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾!

وقد فضل بعض العلماء: الغني الشاكر على الفقير الصابر؛ لئن الغنى ابتلاء وفتنة، والشاكر من عباد الله قليل ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣) بخلاف الصابر فإنه كثير، والمسألة فيها نظر."

(محمد الصابوني: ١٩٩٩)

٧. سلامة الأنبياء من العيوب المنفرة:

الأنبياء بشر وهم عرضة لكل ما يصاب به البشر، ويستثنى من ذلك: المُحَرم، والمكروه، والمباح المزرى، والمزمن، وما تعافه النفوس، ومما يؤدي إلى النفرة، فلا يصاب النبي بالبرص، أو الجذام، أو الشلل، أو العمى، أو الجنون، وهذا بديهي لئن مثل هذه العيوب ستمنع النبي من تبليغ رسالته للناس بالشكل السليم.

أمّا الإغماء: فقال النووي: " لا شك في جوازه عليهم؛ لأنه مرض بخلاف الجنون، فإنه نقص، وقيد الغزالي الإغماء بغير الطويل، وقال السبكي: وليس كإغماء غيرهم، وما ذكر أن شعيبًا كان ضريرًا لم يثبت، وأما يعقوب فحصل له غشاوة وزالت."

(محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

أمّا إصابتهم بالفقر والمرض يمكن أن يصب النبي بهما؛ لأنهما ليس فيهما صفات تبعد الناس عنهم، وإنما هي لرفع مكانتهم وللاقتداء بهم.

٨. الأخذ بالأسباب:

الأخذ بالأسباب الصحيحة أمر مطلوب، ولا ينافي ذلك التوكل على الله، بل هو التوكل الصحيح، فالتوكل الصحيح المشروع: هو الثقة بالله، والاعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب الصحيحة المشروعة، فالتوكل يلتئم هذين الأصلين.

أما ترك الأخذ بالأسباب يعدّ تواكلًا، وكما ترك التوكل طعن في التوحيد، ترك الأخذ بالأسباب نقص في العقل.

والأسباب وإن كانت ضعيفة وبسيطة في نظر العبد التي يبذلها، فالله سبحانه يبارك فيها، ويجعل فيها الخير الكثير.

وفي قصة أيوب: طلب الله من شخص مريض ضعيف (أيوب) أن يضرب الأرض بقدمه، وما يمكن أن يفعله هذا السبب الضعيف؟ ولكن الله بقدرته جعل هذا السبب الضعيف سببًا لنبع الماء الذي به شُفي أيوب؛ ليعلمنا الله سنة كونية وتعبدية، ألا هي الأخذ بالأسباب مع الاعتماد الكامل بأنها من قدر الله، ولا تعمل إلا بإذنه.

كما علمنا الله ذلك في قصص غيره من الأنبياء، فرسولنا – صلى الله عليه وسلم – قاتل وهو بين درعين، ولبس لامته، ووضع المغفر على رأسه، فعل هذه الأسباب الضعيفة وهو على ثقة تامة

بأن الله حاميه، والله كافيه، فقد قال تعالى: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ (الأنفال: ٦٤)!

وفي طريق هجرته، ألم يتخذ دليلًا؟ وألم يخرج في وقت يغفل فيه الناس؟ ألم يخرج من طريق غير متوقع؟ بلى، فعل ذلك، وقد قال الله له: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)!

وفي قصة مريم العذراء:

طلب الله من امرأة ضعيفة (مريم) وفي حال نفاسها أن تهز نخلة قوية، فما ظنك أن يفعل الهزّ أساسًا من امرأة ضعيفة نفساء لنخلو قوية عالية؟! ولكن هذا السبب الضعيف جعله الله بقدرته أن سقط الرطب جنيًا، فقد كان الله قادر على أن يسقطه بدون هزّ، إنها سنة الأخذ بالأسباب المشروعة الصحيحة، ولله در القائل:

توكل على الرحمن في كل حاجة ... ولا تؤثرن العجز يومًا على الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم ... إليك فهزي الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها ... جنته ولكن كل شيء له سبب

٩. **الصبر:** قصة أيوب – عليه السلام – مدارها الصبر، **والصبر ثلاثة أنواع:**

أ. **صبر على طاعة الله:** وهو أن تصبر على تنفيذ أوامر الله تعالى من الطاعات والقربات كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، وغيرها.

ويعد هذا النوع أشد أنواع الصبر على النفوس.

ب. **صبر عن معصية الله:** وهو أن تصبر عن الذنوب والمعاصي باجتنابها.

وهذا النوع الثاني من حيث الشدة على النفوس.

ج. **صبر على أقدار الله المؤلمة:** وهو أن تصبر على ابتلاءات الدنيا من مرض، وموت أحبة، وخسارة أموال.

والصبر على هذه الابتلاءات أمر مطلوب ومرغوب فيه، وعاقبته محمودة.

قال الصابوني: " فحين صبر أيوب أكرمه الله بالمال الوفير، والأجر الجزيل، وعوضه عن الأهل والولد بضعفهم، وبارك فيهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٤)"

(محمد الصابوني: ١٩٩٩)

١٠. أفعال الله منزهة عن التعليل بالمصالح والمفاسد:

أفعال الله تعالى منزهة عن التعليل بالمصالح والمفاسد ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ (الأنبياء: ٢٣)، فالله تعالى له الحكمة البالغة، فقد يبتلي الإنسان بسبب ذنب، فكثير من الابتلاءات تكون بسبب المعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ (الشورى: ٣٠)، وقد يبتلى الإنسان بدون ذنب كالأنبياء والأخيار فيبتلون لرفع درجاتهم.

قال الرازي: " فأيّوب لم يقترف ذنبًا حتى يكون ابتلاؤه كان في مقابلة ذلك الجرم، وإن كان البلاء ليجزل له الثواب، فإن الله تعالى قادر على إيصال كل خير ومنفعة إليه من غير توسط تلك الآلام والأسقام، وحينئذ لا يبقى في تلك الأمراض والآفات فائدة، وهذه كلمات ظاهرة جلية، والحق الصريح أنه لا يسئل عما يفعل."

(محمد الصابوني: ١٩٩٩)

١١. هل كانت رخصة أيّوب خاصّة به وحده أم هل كانت عامة لجميع الناس؟

قال الصابوني: " اختلف العلماءُ في هذا الحكم الذي أرشد الله تعالى إليه نبيّه أيّوب عليه السلام، هل هو خاصٌّ به أم عامٌّ لجميع الناس؟

فذهب عطاء بن أبي رباح وابن أبي ليلى إلى أنّ الحكم عامٌّ، وأنّ هذه الرخصة لجميع الناس فضلًا من الله تعالى وكرمًا، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة.

وذهب مجاهد إلى أنّه خاصٌّ بأيّوب عليه السلام، وهو منقول عن ابن عباس رضى الله عنه، وهو مذهب مالك وأحمد."

(محمّد الصابوني: ١٩٩٩)

والقول بأنَّ هذا الحكم خاصّ بأيّوب هو الصحيح إنْ شاء الله؛ لأنّ أيّوب كانت اليمين عندهم واجبة، ولو كان في شرعهم أنَّ لها كفارة، لعدل إلى التكفير، ولم يحتج لهذه الرخصة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت امرأة أيّوب معذورة والله أعلم، فأفتى الله لنبيّه أيّوب أنْ يعاملها معاملة المعذور، هذا مع رفقها به، وإحسانها إليه، فجمع الله له بين البِرّ في يمينه والرفق بها.

فوافق ظاهر النصّ القرآني في قصّة أيّوب لظاهر نصّ السنّة الصحيحة في شأن الضعيف الذي زنى، فعن سعد بن عبادة: قال: كان بين أبياتنا رجلٌ مُجدَجٌ ضعيفٌ، فلم يرعْ إلّا وهو على أمةٍ من إماءِ الدار يخبُثُ بها، قال: فرفع شأنَهُ سعدُ بنُ عبادةَ إلى رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم –، **فقال: اجلدوهُ ضربَ مئة، قالوا يا نبي الله، هو أضعفُ من ذلك، لو ضربناهُ مئةَ سوطٍ ماتَ، قال: فخذوا له عِثكالًا فيه مئةُ شِمراخٍ، فاضربوه ضربةً واحدةً.**"

(رواه ابن ماجه: ٢١٠٣)

واليمين في شرعِنا جعل الله لها مخرجًا بالكفارة.

١٢. **لطيفة بيانية:**

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣) ختم القصة هنا: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ (الأنبياء: ٨٤)، وختمها في سورة ص بقوله: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ (ص: ٤٣)، **ما السرّ في ذلك؟**

قال الأنصاري: " أيوب في سورة الأنبياء بالغ في التضرع بقوله: (وأنت أرحم الراحمين)، فبالغ تعالى في الإجابة، فناسب ذكر (من عندنا)؛ لئن (عندنا) يدل على أنه تعالى تولّى ذلك بنفسه، ولا مبالغة

في سورة ص في تضرع أيوب، فناسب ذكر (منا) لعدم دلالته على ما يدل عليه (عندنا)." (زكريا الأنصاري: ٢٠٠٣)

١٣. بديعة قرآنية:

قال تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾ (ص: ٤١) ذكر الله في الآية الكريمة أن أيوب – عليه السلام – كان قد حصل له نوعان من البلاء:

النوع الأول: المشقة الشديدة بسبب زوال النعم والخيرات.

والنوع الثاني: حصول المكروه والألم الشديد في الجسم.

ولما كان كل منهما قد لحق به وأصابه الضر بسببهما، أحدهما مادي، والآخر جسدي؛ ذكر الله تعالى في الآية الكريمة لفظين هما: النصب والعذاب؛ ليقابل النصب بالضر الذي أصابه في الجسد، وقابل العذاب بالبلاء الذي أصابه في الأهل والمال.

تتمة مع أحكام اليمين

اليمين في الشرع:

أن يحلف الإنسان بالله تعالى، أو بصفة من صفاته، على فعل شيء أو تركه، تقوية للخبر، أو يقسم على أمر يريد فعله، تأكيدًا لكلامه، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " **والله لأغزون قريشًا.**" قال ذلك ثلاث مرات، ثم قال في الثالثة: " **إن شاء الله.**"

فقولك: أقسم بالله لأفعل كذا، أو بدون أقسم، نحو: بالله أفعل كذا، والله لا أفعل كذا، تالله لأفعل كذا، كل هذه الصيغ أيمان.

أقسام اليمين: اليمين ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يمين لغو: وهو ما لم يتعمده الإنسان، ومن صيغه:

يحلف الإنسان على أمر قد مضى، وهو يظن أنه كما قال، كأن يقول: والله إن فلانًا ليس في البلدة؛ لأنه يعتقد أنه مسافر، ثم يظهر أنه في البلدة. أو يقول: والله ليس معي نقود؛ لأنه كان يظن أنه ترك المحفظة في البيت، ثم يظهر أن معه نقودًا، ونحو ذلك.

وهذا قول أبي حنيفة ومالك، ومروي عن ابن عباس والحسن البصري ومجاهد.

بينما قال الشافعي وأحمد: اليمين اللغو هو ما يجري على اللسان من غير قصد الحالف، كقول الإنسان في كلامه: لا والله، بلى والله، دون قصد الحلف، وإنما يجري على لسانه كذكر وتسبيح الله تعالى، وهذا التأويل ليمين اللغو منقول عن عائشة وعكرمة والشعبي.

والصحيح: أن اللغو يشمل النوعين، وهذا اختيار شيخ المفسرين ابن جرير الطبري.

حكمه: أنه لا إثم فيه، ولا كفارة، لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ (المائدة: ٨٩)

القسم الثاني: اليمين المنعقدة:

وهي: الحلف على أمر في المستقبل، يحلف على فعله، أو تركه، كقوله: والله لأسافرن إلى مصر، أو: والله لا أكلم فلانًا، ونحو ذلك. والحالف يقصد ذلك ويتعمده.

وسميت بالمنعقدة: لئن الله أوجب بها كفارة عند الحنث، وانعقدت عليها الأحكام الشرعية، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ (المائدة: ٨٩)

حكمها: إن كانت على خير، كأن قال: والله لأصلين ركعتين لله، أو: والله لأزور أخي غدًا، ونحو ذلك، عليه أن يبر بقسمه ويمضيه ويفعله، وإن لم يفعله لسبب ما حنث يمينه، ووجب عليه الكفارة.

وإن كان على أمر مفروض عليه، كأن يقول: والله لأصلين الظهر، ونحو ذلك، يجب عليه إمضاء قسمه؛ لئن ذلك فرض عليه، وتتأكد باليمين، وإن لم يفعله يأثم لعدم فعله.

وإن كان يمينه على شرّ، كأن يقول: والله لأشربن الخمر، ونحو ذلك، وجب عليه حنثه والتكفير عن يمينه.

مسائل في اليمين المنعقدة:

أ. **الحلف على أمر ماض:** كأن يسأل إنسان إنسانًا: أأنت الذي شرب الماء؟ فيقول: لا، والله لم أشربه.

إن كان صادقًا لا شيء عليه، وإن كان كاذبًا يأثم، ولكن هل عليه كفارة؟ لا؛ لئن اليمين يكون لأمر في المستقبل، وهذا إخبار يحتمل الصدق والكذب، وإنما عليه التوبة.

ب. **الاستثناء في اليمين:** كأن يحلف الإنسان على شيء، ويعلقه على المشيئة فورًا، كقوله: والله لا أكلم فلانًا إن شاء الله، فإن كلمه لم يحنث، ولا كفارة عليه، وسبب عدم الحنث لئن المشيئة غير معلومة لأحد، فكأنه استثناء من القسم، وهذا الاستثناء يشترط أن يكون متصلًا، فإن حلف على شيء ثم قال بعده بعد مدة: إن شاء الله، لم يصح الاستثناء ويحنث ويكفر.

القسم الثالث: اليمين الغموس:

وهي أن يحلف الإنسان على شيء مضى وحدث، متعمدًا الكذب، عالمًا أنه كاذب؛ ليقطع حق إنسان أو يضع حقه.

كأن يقول:

أ. والله قد أخذ فلان كل حقه وماله من عندي، قال ذلك وهو يعلم أن له عنده مالًا.

ب. أو يقول: والله ما بتعه الدار، وقد باعه ثم أنكر البيع.

ج. أو: يحلف أمام القاضي كذبًا أنه رأى السلعة عند فلان، وهو لم يراها.

وسميت غموسًا:

لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار، وتسمى باليمين الفاجرة.

قال صلى الله عليه وسلم: " **من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار**، قال رجل: وإن شيء يسير يا رسول الله؟ **قال: وإن قضيب من أراك.**" (رواه مسلم: (١٣٧)، والنسائي: (٥٤١٩)، وابن ماجه: (٢٣٢٤)، وأحمد: (٢٢٢٣٩))

أي: ولو كان هذا الحق قضيبًا من السواك؛ لأنه استهان بجلال الله وعظمته، فحلف كاذبًا، ولا يقدم على ذلك إلا فاجر، ولهذا جاء في رواية عند مسلم: قال صلى الله عليه وسلم: " **من حلف على يمين صَبْر** [1]**، وهو فيها فاجر، يقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان.**" (رواه البخاري: (٦٦٧٦)، ومسلم: (١٣٨))

وفيهم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ (آل عمران: ٧٧)

حكمها: لا كفارة عليها؛ لئن ذنبها أعظم من أن يُكَفّر؛ وإنما عليه التوبة وإرجاع الحقوق لأصحابها.

---

(١) يمين الصبر: هي التي يصبر فيها الإنسان نفسه على الجزم باليمين، فكأنه يحبس نفسه على هذا الأمر العظيم، وهي اليمين الكاذبة.

اليمين بغير الله تعالى:

كأن يحلف الإنسان بالإسلام، أو بالأنبياء، أو بالكعبة، أو يقول: علي سخط الله، ونحو ذلك.

حكمه: لا يعد هذا يمين بإجماع العلماء، وهو مكروه، قال الشافعي: أخشى أن يكون معصية، ولا يجب فيه الكفارة.

فائدة: الحلف بالقرآن لا يجوز إلا إذا قصد بالقرآن أنه كلام الله فيجوز؛ لأنه صفة من صفاته، يجوز القسم بها.

هل اليمين على نية الحالف أم هل على نية المستحلف؟

إذا طُلب من إنسان أن يحلف، فالنية تكون على نية المستحلف (أي: الخصم الطالب لليمين)؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: " **يمينك على ما يصدقك عليه صاحبك.**" (رواه مسلم: ١٦٥٣)

بمعنى: لا يجوز للحالف أن ينوي بيمينه شيئًا آخر غير نية خصمه الذي طلب منه اليمين، إلا أن يكون مظلومًا، فله أن ينوي بيمينه شيئًا آخر، دفعًا للظلم عنه.

تكرار اليمين:

إذا كرر إنسان اليمين مرارًا، كقوله: أقسم بالله العظيم، أقسم بالله العظيم، أقسم بالله العظيم، لا أكلم فلانًا، ثم كلمه، حنث في يمينه، وعليه كفارة واحدة.

أما إذا حلف ألا يكلم إنسانًا وكلمه، فعليه كفارة، ثم حلف ألا يدخل هذه الدار ثم دخلها، فعليه كفارة، ثم حلف ألا يسافر مع فلان وسافر، فعليه كفارة، سواء كان الحلف في مجلس واحد، أو في

مجالس متفرقة؛ لئن هذه أعيان متفرقة، وليس من جنس واحد، ولا يمكن أن يراد بها التأكيد.

وذهب بعض فقهاء الحنفية: إذا كثرت الإيمان تداخلت، ويكون عليه كفارة واحدة، وفي هذا القول فسحة عظيمة لمن أُبتلي بكثرة الأيمان، وأراد أن يتوب، فيجزئه كفارة واحدة.

كفارة اليمين:

من رحمة الله تعالى أن شرع لنا كفارة الأيمان، حتى لا يشق علينا، وهي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (المائدة: ٨٩)

وهي على الوجه الآتي:

أ. إطعام عشرة مساكين.

ب. كسوتهم.

ج. عتق عبد مملوك.

وتلك الأشياء على التخيير، فهو مخير بين الإطعام، أو الكسوة، أو عتق الرقبة، أيهما أتى أجزاه.

ويجوز عند الحنفية دفع القيمة (أي: دفع المال)، ولا يجزئ دفع المال كله لفقير واحد؛ لئن الله حدد العدد عشرة مساكين، فلا بد من تفريق المال على عشرة فقراء.

وإن لم يستطع لفقره، أو لم يجد هذه الأمور الثلاثة السابقة، عليه صوم ثلاثة أيام، ويشترط الجمهور أن يصومها متتابعة، والشافعي جوّز صومها متفرقة.

لطيفة: وقع أمير أندلسي على امرأته في نهار رمضان، فسأل هذا الأمير الأندلسي شيخ الأندلس وعالمها يحيى الليثي عن ذلك، فأفتاه الليثي بالكفارة، وهي أن يصوم شهرين متتابعين، استغرب تلاميذ يحيى، وسألوا شيخهم: لماذا لم تفته بأنه مخير بين العتق والإطعام والكسوة؟

فقال: لو فتحنا له هذا الباب لسهل عليه هذا العمل ويعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود." (الشاطبي: ١٩٩١)

o o o o

خاتمة الكتاب

الابتلاءُ سُنّةُ الله الكونيّة، فيبتلي عباده بالخير والشرّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٣٥﴾ (الأنبياء: ٣٥)

ولمّا كان طبع الناس الفرح بالخير ونسيان شكره، والجزع من الشرّ ونسيان الصبر عليه، قصّ الله علينا قصّة أيّوب؛ لتكون قدوة حسنة للصابرين، وسلوة للمبتلين، وعبرة للمعتبرين.

فقد مكث أيّوبُ في بلائه ثماني عشرة سنة، مكث كل هذه المدّة الطويلة وهو صابرٌ محتسبٌ، ولمّا تطاول به البلاء، حتى رفضه القريب قبل البعيد، عندها دعا ربّه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)

وما أنْ خرجت هذه الدعوة من أيّوب المخلص الواثق بالله سرعان ما استجاب لها ربُّ الأرض والسماء، وكشف عنه البلوى، وأعطاه ضعف ما فقد من ولده وماله، رحمة من الله، وجزاء لصبره وإخلاصه.

ومن النعم التي أنعم الله بها على نبيّه أيّوب أن خفّف عنه وعن زوجته البارة حيث جعل له مخرجًا لليمين التي أقسمها ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ (ص: ٤٤)

هذا نبيٌّ الله أيّوب مضرب المثل في الصبر، فإذا ذُكر الصبر ذُكر أيّوب، وقيل، صبرًا كصبر أيّوب!

وصدق صلى الله عليه وسلم: " **يُبتلى الرجلُ على حسبِ دينِهِ، فإنْ كان في دينِهِ صُلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإنْ كان في دينِهِ رِقَّةٌ ابتليَ على حسبِ دينِهِ، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتّى يترُكَهُ يَمشي على الأرضِ ما عليه خطيئةٌ.**" (رواه ابن ماجه: (٤٠٢٣)، وابن حبان: (٦٢٩))

قائمة المراجع:

١. إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، دار الكتب العلمية، ١٩٩١ م.

٢. إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة الصفا، ٢٠٠٢ م.

٣. إسماعيل بن كثير الدمشقي، مختصر ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد على الصابوني، دار التراث العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٧ م.

٤. زكريا الأنصاري، فتح الرحمن شرح ما يتلبس من القرآن، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م.

٥. عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء، دار أضواء السلف، ٢٠٠٢ م.

٦. عدنان محمد الكحلوت، إعلام السادة النبلاء بسيرة صفوة العالمين من المرسلين والأنبياء، مكتبة دار المنارة، ٢٠١١ م.

٧. محمد خليل هراس، دعوة التوحيد، مكتبة الصحابة، بدون سنة نشر.

٨. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، ٢٠٠٥ م.

٩. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار ابن حزم، ٢٠٠٢ م.

١٠. محمد على الصابوني، النبوة والأنبياء، بدون دار نشر، بدون سنة نشر.

١١. محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، بدون سنة نشر.

١٢. محمد علي الصابوني، الفقه الميسر، مؤسسة الريان، ٢٠٠٠ م.

١٣. محمد بن محمد أبو شبهة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ١٤٠٨ هـ.

١٤. محمد بن صالح المنجد، أعمال القلوب، دار الفجر، ٢٠٠٥ م.